المحاضرة 5: نظريات التعلم (النظريات السلوكية)

النظرية السلوكية: السلوكية (behaviorism): وهي مدرسة من مدارس علم النفس، أسسها عالم الحيوان الأمريكي واتسون، وأعلن عنها في بيان سنة 1912. وقد اعتبرت هذه المدرسة أن السلوك هو الذي يشكل الأساس العلمي والموضوعي لعلم النفس وليس الوعي. لأنه لا يمكن إخضاعه للملاحظة.

وتقتصر الدراسة فيها على دراسة الاستجابات التي يقوم بها الكائن الحي تحت تأثير مثيرات معينة. وتهدف هذه المدرسة إلى البحث عن العلاقات أو القوانين التي تربط بين المثير والاستجابة، وتشمل النظرية السلوكية النظريات الارتباطية والنظريات الوظيفية:

1-النظريات الارتباطية: ويعني الارتباط العلاقة بين الأفعال والأفكار ومن أشكاله الاقتران، التشابه، التضاد، السببية... ومن أبرز نظرياتها:

أ- **النظرية الارتباطية لثورندايك:** وتقوم على مبدأ الارتباط بين الموقف والاستجابة والموقف في نظره هو العامل الخارجي الذي يحدد التغيير داخل الفرد أما الاستجابة فهي ردود أفعال الفرد. ويشير ثورندايك إلى أن الارتباط يتعلق بعوامل كثيرة، منها:

الاستعداد والتدريب والأثر أو الاستمرار في التعلم وانتشار هذا الأثر في المواقف التعليمية الأخرى. وقد قامت تجاربه على أن التعلم يتم عن طريق المحاولة والخطأ.

ب-نظرية الإشراط الكلاسيكي لبافلوف: ترجع هذه النظرية للعالم الروسي إيفان بافلوف وهو حاصل على جائزة نوبل في مجال الدراسات الفيزيولوجية، وتنص هذه النظرية على أن التعلم يحدث نتيجة وجود مثير يؤدي إلى حدوث

استجابة تؤدي إلى حدوث التعلم، ولذلك سميت بنظرية الإشراط أو التعلم الشرطي إذ لا بد من اشتراط وجود مثير.

وقد قام بإجراء تجربة على الحيوان فقبل تقديم الطعام له يسبق ذلك بصوت جرس، فوجد بعد تكرار الفعل، أن لعاب الحيوان يسيل قبل أن يرى الطعام، وذلك بمجرد سماع صوت الجرس، ودل ذلك عنده على حدوث التعلم نظراً لوجود المثير وهو صوت الجرس.

-مبادئ التعلم عند بافلوف:

-مبدأ التعزيز: ويعني إعطاء مكافأة كل ما كان هناك استجابة واشترط في ذلك أن تكون المكافأة بعد الاستجابة مباشرة وتكون بالقدر المناسب.

-مبدأ الانطفاء: ويعني تجاهل الاستجابة غير المرغوب فيها، فيؤدي ذلك إلى انطفائها.

-مبدأ التخلص التدريجي من الحساسية: ويقصد به تعريض الفرد إلى المثيرات التي أحدثت استجابات غير مرغوب فيها بطريقة تدريجية.

-مبدأ الغمر: ويقصد به التعريض للمثير بطريقة مباشرة.

2- النظريات الوظيفية: وهي جزء من النظريات السلوكية تختلف عن النظريات الارتباطية في كونها لا تكتفي بإقامة علاقة بين المثير والاستجابة، بل تتضمن بعض المفاهيم المعرفية كالتفكير والتخيل والسلوك، ومن أبرز نظرياتها:

أ- **النظرية الإجرائية لسكينر:** ويميز سكينر في نظريته بين نمطين من الاستجابة: استجابة تحدث ردة فعل لمثير محدد كالبكاء، نتيجة لتقطيع البصل، واستجابة تحدث دون وجود مثير محدد، ويطلق عليها اسم الإجراءات كركوب السيارة لغرض الوصول إلى مكان معين، فلا يفترض وجود مثير للقيام بذلك.

بالتالي فقد قامت هذه النظرية على افتراض أن السلوك يمكن أن يحدث تلقائيا دون مثير.

وقد ركّز سكينر على مفهوم التعزيز، ويعني تقديم مكافأة على الاستجابة، أو تخفيضها بالعقاب. ولحدوث التعلم عنده، أضاف مفهوما ثالثاً وهو تمايز الاستجابات، فهي تكون في البداية متشابهة وتتميز عن بعضها البعض بالتعزيز.

ويمكننا القول ان سكينر يرى أن التلميذ يجب أن يتعلم بنفسه، ويتلقى التعزيزات من معلميه، وقد لاقى مبدأ التعزيز هذا نجاحاً باهراً في مجال التربية ككل وتدريس اللغات خاصة، ولا يزال معمولاً به إلى الآن.

وهذا يعني أن سكينر بإدخال التعزيز للاستجابة المرغوبة فيها، دفع المتعلم إلى التفكير الإيجابي بعد أن كان سلبياً خاضعاً بشكل كلياً للمثير.

نظرية الحافز لهال: وقد ربطت هذه النظرية عملية التعلم بالحافز، وجعلتها عملية متدرجة ومتزايدة يتم فيها ربط المثير بالاستجابة، والانتقال من البسيط إلى المركب، وتتدخل فيها عوامل خارجية لتشجيع المتعلم بالحوافز، فعندما يظهر الحافز تحدث الاستجابة وكذلك التعلم يحدث إذا حدث التعزيز.

ومن الانتقادات التي وجهت للنظريات السلوكية كونها تجعل الإنسان على الدرجة نفسها مع الحيوان، وألغت العقل من العلمية التعليمية، بإخضاعها للمثير وحده، كما أن تجاربها لا يمكن أن تكون ناجعة، كونها تعتمد التكرار المتعدد لحصول تعلمات قليلة، وعجزها عن مجابهة الموقف الذي تتعدد فيه المثيرات وإعطاء تفسير لذلك فالاستجابة تحدث لمثير واحد فقط.